فهو يرسم منه طباعه رسماً بارعاً فيه سخرية لاذعة ، يضحك منها الناس ، وهو يصف ثقيلا آخر فيهجوه بقوله :

وكيفَ يخف لى بَصرى وسمعى ... وحولى عَسكران من الثقال
قعوداً حول دَسكرتى وعندى[1] ... كأن لهم على فضولَ مـــال
إذا ما شئتُ صَبحنى « هلالٌ » ... وأىّ الناس أثقلُ من « هلال »[2]

وكم يحلو لنا أن نردد هذه الأبيات فى ثقيل يحلّ بنا فلا ينصرف ، ويثقل علينا كأنه رضوى يدفع السرور ويحجب الفرح بظله الظليل الكدر . وأبو نواس يهجو البخل كذلك فى ألفاظ لطيفة خفيفة :

ألومُ « عباساً » على بُخله ... كأنّ عباساً من الناس
وإنما العباس فى قومه ... كالثـــوم بَينْ الوَرْد والآس

فهو يتناول الرجلَ كما تناوله القدماء ، فيكرّ عليه ويجعله كالثوم بين الورد والآس ، فهو كريه الرائحة لشدة ضنه وإمساكه فى الإنفاق ، ويقول كذلك فى الفضل الرقاشى :

أماتَ اللهُ من جُوع رُقاشاً ... فلولا الجوعُ ما ماتتْ رقاشُ
ولو أشممتَ موتاهم رغيفاً ... وقد سَكنوا القبورَ إذاً لعاشوا

وهذه الصورة مضحكة تهين الرجل وتجعله لشدة بخله يموت من الجوع ، فلو شمّ الرغيف بعد موته لعاش . ومثله مسلم بن الوليد هجا البخلاء ، فقال فى سعيد بن سلم :

إذا سيلَ عرفاً كسا وَجهه ... ثياباً من اللؤم حمراً وسودا
يُغيرُ على المال فعلَ الجوا ... د وتأبى خلائقهُ أن يجودا

فيرسم وجهه حين يسأل عرفاً وقد صُبغ بالحمرة والسواد ، ويرسمه حين يُغير على المال كأنه الجواد ، ولكنه فى السعى إليه وجمعه كأنه يفتش عنه فى

---

(١) الدسكرة : القرية والصومعة وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب ، وقيل بناء كالقصر حوله بيوت تجتمع فيها الشطار .

(٢) وفى كتاب الثقلاء أشعار كثيرة فى هذا الباب يحسن الرجوع إليها .